*أقسام فرعية تضمها الاستعارة التصريحية*

*بحث فى دراسات بلاغيه*

إعداد أ/ شيماء عبد المجيد محمد زهران

*قسم اللغة العربية*

*كلية اللغات – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم – ماليزيا*

*shaimaa.abdelmajeed@mediu.ws*

**خلاصة ـــ هذا البحث يبحث في أقسام فرعية تضمها الاستعارة التصريحية**

**الكلمات المفتاحية : اللفظ المستعار ، أصلية ،تبعية**

1. **المقدمة**

**الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سوف نتحدث في هذا المقال عن أقسام فرعية تضمها الاستعارة التصريحية**

1. **عنوان المقال**

**وتنقسم الاستعارة التصريحية باعتبار اللفظ المستعار، إلى قسمين: أصلية، وتبعية.**

**الأول: الاستعارة الأصلية: وهي ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس يدل على واحد غير معين من جنسه، سواء كان اسم عين كالأسد، والثعلب، والبحر، والغيث، والسهل، إلى غير ذلك، أو اسم معنى وهو المصدر، كالقتل، والنوم، واليقظة، ويدخل في الاستعارة الأصلية أسماء الأعلام التي اشتهرت بصفة معينة؛ لأنها صارت لشهرتها بالصفة كاسم الجنس بالتأويل، وذلك نحو: حاتم الذي اشتهر بالكرم؛ فصح استعارته لكل رجل كريم؛ لأن شهرته بالكرم جعلته كالموضوع لمطلق ذات متصفة بالكرم، فصار بهذه الشهرة اسم جنس تأويلًا، وعندئذٍ تجوز استعارته كما تستعار أسماء الأجناس.**

**تقول في استعارة اسم العين أو الذات: ضمت الأم زهرتها إلى صدرها، تريد طفلتها، فتشبه طفلها بالزهرة، وتقول: أسود المعركة، أي: الشجعان، وبحور العلم، أي: العلماء، وثعالبة الاستعمار، أي: الماكرين؛ فالمستعار في كل هذه الأمثلة اسم عين أو اسم ذات، وتقول في استعارة اسم المعنى أو المصدر: آلمني قتل فلان أباه، وذبحه أخاه، تريد الأذى والإذلال.**

**ويقال في إجراء الاستعارة في قولنا: آلمني فلان قتل أباه، شبه الأذى والإذلال بالقتل، والذبح، بجامع الإيلام الشديد في كلٍّ، ثم ادُّعي أن الأذى والإذلال داخلان في جنس القتل والذبح، وفردان من أفرادهما، ثم استعير القتل والذبح، للأذى والإذلال.**

**وكذا يقال في نحو: سباحة الفكر، أي: تنقله في أمور شتى، ونوم العقل، أي: توقفه عن التفكير، ويقظة الضمير أي: تنبهه لأداء الواجب.**

**لكن لماذا سميت هذه الاستعارة بالاستعارة الأصلية؟ قالوا: لأنها أكثر وجودًا في الكلام من التبعية؛ ولأن التبعية مبنية عليها، وتابعة لها، فهي لها أصل.**

**وانظر إلى قول الشاعر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **فتًى كلما فاضت عيون قبيلة** | **\*** | **دمًا ضحكت عنه الأحاديث والذكر** |

**فترى أنه استعار الدم -وهو اسم جنس- للدموع التي تفيض من العيون، وتُفيد هذه الاستعارة فداحة الخطب وشدة ما حلَّ بالقبيلة، فقد فاضت عيونها دماء لا دموعًا من هول الموقف، وهذا بالتالي يُنبئ بعظم الممدوح الذي يُبدد تلك الأحوال، ويغيرها بكرمه وشجاعته إلى أمن وسرور.**

**وانظر إلى قول كثير عزة حينما يقول:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر** | **\*** | **ظواهر جلدي وهو في القلب جارح** |

**حيث شبه النظرة الثاقبة التي رمته بها فتاته بالسهم النافذ -وهو اسم جنس- بجامع قوة التأثير في كلٍّ، ثم حُذف المشبه وادعي أنه فرد من أفراد المشبه به، فاستعير له لفظه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.**

**الثاني: الاستعارة التصريحية: وهي ما كان اللفظ المستعار فيها فعلًا أو اسمًا مشتقًّا أو حرفًا، فمن استعارة الفعل، قولنا: نطقت الحال بكذا، وطار فلان إلى المعركة، ونام عقل فلان، فالمراد: دلت الحال، وأسرع فلان، وغفل عقله، وتوقف عن الفهم، فاللفظ المستعار هنا فعل، وتقرير الاستعارة فيه أن يقال: شبهت الدلالة الواضحة بالنطق في إيضاح المعنى، ثم استعير النطق للدلالة الواضحة، فصار النطق بالاستعارة معناه الدلالة الواضحة، ثم اشتقَّ من النطق نطقًا بمعنى دلَّ على سبيل الاستعارة التبعية، وكذا القول في طار، ونام.**

**ومن استعارات المشتقات، قولنا: فلان عقله نائم، وفلان فكره يقظان، تقول: عظيم فعالك ناطق بكل حالك، وهذا مقتول فلان، ومثله قوله تعالى: {ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ} [الأنبياء: 35]، فالمراد من كل ذلك: فلان عقله غافل، وفلان فكره منتبه، وعظيم فعالك دال بحالك، وهذا مأذي فلان، والآية الكريمة: {ﯺ ﯻ}، تحس بشدة الموت عند الاحتضار، كما يحس الذائق للشراب المر بما فيه من مرارة.**

**ويقال في إجراء الاستعارة في هذه المشتقات: شُبهت الغفلة بالنوم بجامع عدم الإدراك في كلٍّ، ثم استعير النوم للغفلة، فصار النوم بالاستعارة معناه الغفلة، ثم اشتق من النوم نائم بمعنى غافل، وكذا القول في يقظان، ونائم ومقتول، وذائقة.**

**ومن استعارة الحروف قولنا: فلان في نعمة، والمراد أنه متمتع بالنعمة تمتعًا تامًّا، كأنه في داخلها، وإنما كانت الاستعارة في الأفعال والمشتقات والحروف تبعية، وعُدَّت كذلك؛ لأن الاستعارة قائمة على التشبيه، والتشبيه يقتضي أن يكون المشبه والمشبه به موصوفين بوجه الشبه؛ لأن الوجه وصف جامع بين الطرفين، ولا يصلح للموصوفية إلا الحقائق الثابتة في الخارج كالجسم، واللون، والأسد، أو في العقل كالعلم، والجود، والذكاء، كما ذكرنا في الاستعارة الأصلية، فيقال: جسم صغير، وعلم واسع.**

**أما الأفعال والمشتقات فلا ثبوت لها لا خارجًا ولا عقلًا؛ إذ هي متجددة متغيرة لدخول الزمن المتغير في مفهوم الأفعال، ولزومه للمشتقات؛ ولذا لا تصلح أن تكون موصوفًا، وبالتالي لا تصلح للتشبيه، فيتحتم أن يجري التشبيه أولًا في المعاني الثابتة القابلة للوصفية، وهي المصادر، ثم يستعار المصدر المشبه به للمصدر المشبه، ويشتق منه الفعل أو اسم الفاعل، أو اسم المفعول بعد أن يحمل المعنى الجديد لمصدره الذي انتقل إليه بالاستعارة، فيكون الفعل أو المشتق حينئذٍ تابعًا لمصدره في حمل المعنى الجديد، كما رأينا في إجراء الاستعارة.**

**وكما كانت الاستعارة في الأفعال والمشتقات تبعية؛ لأن جريان الاستعارة في الأفعال والمشتقات تابع لجريانها في مصادرها؛ إذ الأفعال والمشتقات لا تنفك معانيها عن معاني أصولها، وهي المصادر، فإذا تغير معنى الأصل بالاستعارة؛ تغير تبعًا لذلك معنى الفرع المشتق منه.**

**وقد اعتبر البلاغيون التشبيه والاستعارة في المصدر قبل اعتبارهما في الفعل والمشتقات؛ لأن المصدر هو المعنى القائم بالذات، وهو الجدير بأن يعتبر فيه التشبيه والاستعارة قبلًا.**

**أما الحروف فقد عُدَّت الاستعارة فيها تبعية؛ لأن الحرف لا يدل على معنى مستقل، بل يدل على معنى في غيره؛ ولذا لا يصلح للتشبيه ولا الاستعارة؛ بل يقع التشبيه والاستعارة في متعلق معناه؛ لأنه هو الذي يستقل بالدلالة، ومتعلق معنى الحرف عند الخطيب هو مدلوله، وعند الجمهور هو المعنى العام الذي نفسر به الحرف.**

**ويتضح ذلك في قولنا: فلان في نعمة؛ فالخطيب يُشبه مدخول الحرف وهو النعمة، بظرف تحل فيه الأشياء بجامع مطلق ارتباط وتعلق في كلٍّ، ويدل على التشبيه بلفظ في الذي هو لازم من لوازم المشبه به وهو الظرف.**

**بينما الجمهور يشبه الارتباط الحاصل بين النعمة وصاحبها، بالظرفية التي هي ارتباط حاصل بين الظرف والمظروف، ثم يسري التشبيه من هذا العام إلى أفراده؛ فيستعار اللفظ فيه من فرد من أفراد المشبه به لفرد من أفراد المشبه، على سبيل الاستعارة التبعية في الحروف.**

**ومن الاستعارة التبعية في الحروف، قول الله تعالى: {ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ} [القصص: 8]، فاللام في قوله: {ﭺ}، لام العلة وهي موضوعة لترتب ما بعدها على ما قبلها، وقد استعملت هنا في غير ما وضعت له؛ لأن ما بعدها ليس مترتبًا على ما قبلها، فهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوًّا وحزنًا؛ بل التقطوه ليكون لهم قرة عين يفرحون به، ففي لام التعليل في الآية الكريمة استعارة تبعية، يقال في إجرائها على رأي الخطيب: شبهت العداوة والحزن بالفرح والسرور بجامع ترتب كل منهما على الالتقاط، رجاءً، أو واقعًا، ودُلَّ على التشبيه بذكر لازم المشبه به وهو اللام، للمشبه.**

**أما على رأي الجمهور، فنقول: شبه مطلق ترتب علة واقعية انتهى إليها الالتقاط، بمطلق ترتب علة رجائية غائية، فصار التشبيه من هذين الكليين إلى جزئياتهما، ثم استعيرت اللام الموضوعة بجزئين من جزئيات المشبه به، وهو التقاط موسى ليكون قرة عين، بجزئين من جزئيات المشبه، وهو التقاطه ليصير عدوًّا وحزنًا.**

**من ذلك قول الله تعالى: {ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ} [طه: 71]، فلفظ {ﮨ}، مستعمل في غير ما وضع له؛ لأن جذوع النخل لا تصلح للظرفية الحقيقية، لكن لما كانت هذه الجذوع متمكنة منهم؛ لأن مراد فرعون شدة التعذيب وإحكام الصلب، شبهت الجذوع بالظرف الحقيقي في هذا التمكن، واستعمل فيها لفظ "في"، على سبيل الاستعارة التبعية، ويقال في إجرائها على رأي الخطيب: شُبهت الجذوع بالظرف بجامع التمكن، ثم استعير لفظ "في"، وهو جزئية من جزئيات المشبه به، واستعمل في المشبه، وعلى رأي الجمهور: شبه مطلق الارتباط بين السحرة المؤمنين وبين الجذوع، بمطلق الارتباط بين الظرف والمظروف بجامع التمكن، فصار التشبيه من الكليين إلى الجزئيات، ثم استعير لفظ في من جزئيات المشبه به لجزأين من جزئيات المشبه.**

**هذا وكما تقع الاستعارة التبعية في مادة الأفعال؛ وهي حروفها الدالة على الحدث، فقد تقع في صيغتها وهي هيئاتها الدالة على الزمان، كصيغتي الماضي والمضارع، ومن ذلك قول الله تعالى: {ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ} [النحل: 1]، فأمر الله لم يأتِ بعدُ بدليل قوله: {ﮋ ﮌ}، فكان الأصل أن يقال: يأتي أمر الله، ولكن عبر بالماضي مجازًا؛ ليفيد أن هذا الأمر محقق الوقوع، وقد شبه الإتيان في المستقبل بالإتيان في الماضي بجامع تحقق الوقوع، ثم استعير الإتيان في الماضي بالإتيان في المستقبل، واشتق منه أتى، بمعنى: يأتي، على سبيل الاستعارة التبعية في صيغة الفعل.**

**ومن التبعية في النداء مناداة القريب بلفظ البعيد يا؛ لغرض بلاغي كغفلة المنادى، وعدم تنبهه، فنقول: يا فلان لمن هو قريب منا، والأصل في "يا" أن تستخدم للبعيد، وكذلك ينادى الرب -جل وعلا- بلفظ البعيد يا، فيقال: يا رب وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، وذلك لغرض بلاغي، وهو إحساسنا بالذنوب، وشعورنا بالبعد عن مواطن الزلفى، فقد شبه نداء القريب بنداء البعيد، فصار التشبيه من الكليين إلى الجزئيات، واستعير "يا" من جزئيات المشبه به لجزأين من جزئيات المشبه، على سبيل الاستعارة التبعية في الحروف، وكذا مناداة البعيد بلفظ القريب.**

**هذا، والمجاز المركب كالمجاز المفرد تمامًا، والمجاز المركب هو التركيب المستعمل في غير ما وُضع له لعلاقة بين المعنى الموضوع له التركيب، وبين المعنى المستعمل فيه مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، فإذا كانت العلاقة المشابهة؛ سمي المجاز استعارة تمثيلية، وإن كانت غير مشابهة؛ سمي مجازًا مركبًا مرسلًا، والمراد بالوضع هنا ما تُعورف على فهمه من التركيب.**

**ويندرج تحت مسمى المجاز المركب الاستعارة التمثيلية كما رأينا فيما كان علاقته المشابهة، وتعريفها بهذا: هو اللفظ المركب المستعمل في غير ما وضع له؛ لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة، من ذلك، كقولك لمن يتردد في الأمر: مالي أراك تقدم رجلًا وتؤخر أخرى، فقد شبهت صورة المتردد في الأمر بصورة تردد من قام ليذهب في أمر، فهو تارة يريد الذهاب فيقدم رجلًا، وتارة لا يريد فيحجم، ويتأخر ثم استعير التركيب على المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية التمثيلية، والاستعارة التمثيلية في الحقيقة كثيرة الاستعمال في كلام العرب نثره وشعره، وكثيرة الاستعمال أيضًا في القرآن الكريم، وفي الحديث الشريف.**

**ومما جاء من الاستعارة التمثيلية الأمثال السائرة الواردة عن العرب، فيستعار موردها لمضربها، ومعلوم أن الأمثال لا تغير، فيستعار موردها الذي قيلت فيه، لمضربها الذي تُضرب فيه بلا تغيير، ولا تبديل.**

**ومن ذلك قولهم: "أحشفًا وسوء كيلة"، يُضرب لمن يظلم من جهتين. وأصل مورده: أن رجلًا اشترى من آخر تمرًا فوجده رديئًا، ناقص الكيل، فقال هذا المثل، فصار يُضرب لمن ظُلم من جهتين.**

**ومنها: الصيف ضيعت اللبن، ويضرب لمن يطلب أمرًا بعد فوات الأوان.**

**ومنها: قطعت جهيزة قول كل خطيب، ويضرب لمن يأتي بالقول الفصل في مواطن النزاع.**

**هذا، ولا بد للاستعارة من قرينة، إذ لكل مجازٍ قرينة تمنع إرادة المعنى الأصلي الذي وضع له اللفظ، فالقرينة: هي ما ينصبه المتكلم دليلًا على أنه أراد باللفظ غير معناه الوضعي، وهي أما لفظية، كقولنا: رأيت بحرًا يتصدق، وأسدًا يخطب، وقمرًا يتكلم؛ فالألفاظ يتصدق، ويخطب، ويتكلم، دلت على أن المراد بالبحر، والأسد، والقمر، غير معانيها الأصلية.**

**وإما غير لفظية، كدلالة الحال في قولنا: رأيت بحرًا، والمخاطب يرى رجلًا كريمًا مقبلًا، فقد دلت الحال على إرادة الرجل الكريم، ومنعت إرادة المعنى الأصلي للفظ البحر. وكدلالة الاستحالة، كما في قوله تعالى: {ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ} [الحاقة: 11]؛ فقد استعير الطغيان للزيادة وارتفاع الماء، والقرينة استحالة صدور الطغيان بمعناه الأصلي من الماء.**

**المراجع والمصادر**

1. **القزويني ، زكريا بن محمد القزويني تحقيق: محمد السعدي فرهود ، (الإيضاح في علوم البلاغة) ، طبعة رقم1، سنة النشر: 2001 م**
2. **الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، (دلائل الاعجاز) ، ط5، مكتبة الخانجي، 2004م.**
3. **أبو موسى، د. محمد محمد أبو موسى، (دلالات التراكيب دراسة بلاغية) ، القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1987م**
4. **المراغي، أحمد مصطفى المراغي، (تاريخ علوم البلاغة و التعريف برجالها) ، القاهرة، مكتبة و مطبعة مصطفى البابي، ط1، 1950م**
5. **فيود ، د. بسيوني عبد الفتاح فيود ، (علم البيان: دراسة تحليلية لمسائل البيان) ، القاهرة، مؤسسة المختار ، دار المعالم الثقافية، الإحساء ، ط 2، 1998 م**
6. **الخوارزمي ، الشيخ يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الملقب بسراج الدين السكاكي، (مفتاح العلوم) ، لبنان، مكتبة المقهى، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ، 1987م**
7. **الشاطئ، عائشة بنت الشاطئ، (التفسير البياني) ، مكتبة المجلس، الطبعة الأولى، 1962م**
8. **فيود، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، (علم البديع: دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع) ،القاهرة، مؤسسة المختار، 2004**
9. **الصعيدي، عبد المتعال الصعيدي، (البغية على الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة) ،مكتبة الآداب، 1999م**
10. **شاهين، كامل السيد شاهين، (اللباب في العروض و القافية) ،القاهرة، الهيئة العامة لشئون الأميرية، 1978م**
11. **القيرواني، ابن رشيق القيرواني، (العمدة في محاسن الشعر وآدابه) ،الناشر: دار الكتب العلمية، 2001م**
12. **أبو موسى، د. محمد محمد أبو موسى، (التصوير البياني) ،القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م**